أبوالطيب المصري

الكتاب الأول

كفر العرب

سرد شعري

عبدالله الشوربجي

مؤسسة يسطرون للطباعة والنشر والتوزيع

رئيس مجلس الإدارة

عماد سالم

المدير العام

أحمد فؤاد الهادى

مدير الإنتاج

أحمد عبد الحليم

الطبعة الأولى
الكتاب : كفر العرب
المؤلف : عبدالله الشوربجي
تصنيف الكتاب : شعر
تصميم إخراج : أحمد عبد الحليم
المقاس ١٤ × ٢٠
رقم الإيداع : ٢٠٦٩٤ / ٢٠١٨
الترقيم الدولى : 978 - 977 - 776 - 782 - 8

العنوان : المكتبة والمطبعة : ٣ ش صفوت - محطة المطبعة شارع الملك فيصل - الجيزة
التليفون : ٠١٢٢٩٣٠٠٠٢٩ - ٠١١٥٧٧٦٠٠٥٢
Email : yastoron@gmail.com
موقعنا على الفيس بوك : مؤسسة يسطرون لطباعة وتوزيع الكتب

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

الإهداء

إلى المرأة السورة

التي نزلت من السماء

بعد انقطاع الوحي

ورحيل آخر الأنبياء

عبدالله الشوربجي

المشهد الأول

(كفرُ العربْ)

سمراءُ

يوقظها أذانُ الفجر

تغسلُ شَعرها في النيلِ

صابرةٌ كمثل نسائها

وبيوتُها طوبٌ لبِنْ

الناسُ فيها طيبون

بسيطةٌ أحلامُهم

وصباحُهم مثل اللبَنْ

يتجمعون

بمسجد الإخلاص

يوميًّا

إذا قضيتْ صلاةٌ

يطلقون حديثهم

عن كلِّ شيءٍ

ربما عن أيِّ شيءٍ

عن أوان الريِّ

عن (موسى)
حرامي الأسمدةْ
وعن البناتِ الناهزتْ
سنَّ الزواج
وعن شبابٍ
خلَّصوا التجنيدَ
بعدَ القطن
إنْ شاءَ السميعُ
سيشتري الآباءُ شبكتهم
وغرفة نومهم
يتزوجون
لكيْ تُسرَّ الأفئدةْ
..
جاموسة (الست أم ليلى)
أنجبتْ فحْلا
هنيئا أمَّ ليلى
إنها حمَّالة الهمِّ

التي من يوم ماتَ أبو البناتِ
وشَعرها لم ينكشفْ لسواه
تلبسُ ثوبَه
امرأةٌ بألفٍ
أختُ كلِّ الناس
إنَّ بناتها كبناتهمْ
والدمُّ نفس الدمِّ
بين الأوردةْ
..
يتحدثون
عن (الخطيب)
الناشيءِ الصاروخ
في الأهلي
وعن كفيْ (فريد شوقي)
إذا ضربَ (المليجي)
قريتي
كانتْ تحبُّ بطولةَ الفقراءِ

أدهمَ /
عنترَ العبسيِّ /
والزير /
الهلالي
..
الفقرُ
يسكنُ في بيوتِ الناس
لكنَّ الرضا
والحمدَ
ملءُ قلوبهم
مادامَ قمحٌ في البيوتْ
..
نومُ الحصيرةِ
طيبٌ جدا
وهمْ يتوسدون سواعِدا
معروقةً
بثتْ لربِّ الناس

دعوتَها
بحقِّ (السيدةْ)
..
فلاحُ قريتنا الأصيلْ
يصحو
فيوقظ فجرَ أمتهِ
وتنهضُ فأسُهُ
ويسيرُ نحوَ الحقل
باسم الله
يبدأ درسَهُ
ويظلُّ يعملُ
راكعا في الشمس
تشرقُ رأسُهُ
والشمسُ كامرأةِ العزيز
تحبُّهُ
حتى الحريقْ
الأسمرُ الرمْحُ

الذي صلى بجبهتهِ البريقْ
عرقا يفيضُ
كأنه حُبٌّ
فتخضرُّ الحقولْ
والرزقُ يأتي
كـ (الحطيئةِ) مرةً
ويظلُّ (حاتمْ)
وشِباكُ أيوبٍ تجيدُ الصيدَ
في كلِّ المواسمْ
باسم الصلاةِ على النبيِّ
ودعوتين لأمِّ هاشمْ
أن يرزقَ اللهُ الحلالْ
..
كفرُ العربْ
اليومَ ليستْ
مثل عادتها
كأنَّ العامَ

عامُ الفيلِ
صارت قريةٌ
من غير يوسفَ
والسنابلُ يابساتْ
كلُّ الرجال
منكسون
ويائسون
ونسوة قطعنَ أيديَهن
لا يأتي الخميسُ لبيتهن
ولا يرونَ رجالهن
الفيلُ قدَّ الغنجَ
في كلِّ البناتْ
العامُ عامُ الفيلِ
ما غنتْ صبايا للقمرْ
النارُ تهطلُ كالمطرْ
أكلتْ كتابَ الدين ..
والتاريخ ..

واللغة ..
الأناشيدَ ..
الضفائرَ ..
ضحكةَ الأولادِ ..
والعلمَ المرفرفَ ..
والحمامُ
ولو أبابيلٌ ..
تموتُ الآن
في (بحر البقرْ)
..
(الرجلُ الذي
عبرَ أمامي الطريقَ أمس
لم يكنْ أقلَّ غموضا
من الآخر
في يومٍ
خرجتُ من البيتِ
الليلُ كانَ ممتلئا بالناس

أكيدٌ أنَّ هذا الرجلَ
قد اجتازني
دخلَ هو في شارعٍ
و أنا توجهتُ
صوبَ شارعٍ
أنا أعرفُ
بأنه حدّقَ طويلا في القمر
وليسَ بالأمرَغير الممكنِ
أنه مات
ويقرأ كلماتي
وسوفَ لن يعرفَ
أنني أكتبُ الآنَ
وأفكاري صوبَهُ
وفي المستقبلِ المبهمِ
قد نكونُ خصمين
يحترمُ أحدُنا الآخرَ
أو صديقين

يعزُّ أحدُنا الآخرَ
لقد فعلتُ شيئا
لا رجعةَ عنه
خلقتُ وشيجةً
مع شخصٍ آخر
وفي هذا العالمِ اليوميِّ
الشبيهِ بكتابِ ألفِ ليلةٍ وليلة
ليسَ هناكَ من فعلٍ لا يصيرُ
عمليةً سحريةً
أنا أسألُ
هل هناكَ
مَنْ حلمَ بأنه فراشةٌ
وحينَ استيقظَ
لم يعرفْ أنه
كانَ رجلا قد حلمَ
وأنه فراشة حلمتْ
وأنه

إنسان
أنظرُ إليه
لا أعرفُ أما زال حيّاً
أم مات
لن نلتقي نحنُ أبدا
لكنَّ هناكَ شيئا
يجذبنا إليهِ
وليسَ بالأمرِ
غيرالممكن
أنَّ أحدهم فكرَ
بهذه الصلة
منذ قديمِ الزمان
وليسَ بالأمر
غيرالممكنِ
أنْ يكونَ الكونُ
بحاجةٍ
إلى هذه الصلة

هلْ ثمة إيقاعٍ
في الموت ؟
إيقاع على الأقل ؟
إذْ هل يمكنُ لشيءٍ
أن يولدَ
دونَ إيقاع
كلُّ السرِّ
بلا شك
هو أن تجدَهُ
تستطيعُ أن تبدأ بالصمت)
..
مذياعُ قريتنا الوحيدُ يئنُّ
والطرقاتُ تبكي
والحقولُ تشققتْ
..
رجلٌ يشقُّ ثيابه
امرأةٌ تعفرُ وجهَها

والليلُ يسقط

فوقَ قريتنا

وخبزُ الصبح

لم ينضجْ

وما جفَّ السؤالْ

هل مات ؟

لا ..

ما ماتَ

إنَّ الموتَ

أضعفُ

من (جمالْ)

المشهد الثاني

(حَسَبُ النبي)
رجُلٌ كفاتحةِ الكتابِ
وقلبُه متعلقٌ بالمسجدِ
في وجههِ شمسٌ
وعيناه السماءُ
وطاهرٌ
مثل السحابِ
وقلبُه قلبُ النبي
متزوِّجٌ خيرَ النساءِ
(سميحةً)
سمراء
قامتها كشرع الله
بسمتها كحمد الله
طيبتها الصلاة على رسول اللهِ
خامسة النساء

المسلماتِ ..
المؤمناتِ ..
التائباتِ ..
العابداتِ ..
السائحاتِ ..
الثيباتِ ..
وإنما في كلِّ عام
كان ربُّ الناس
يهديها صبيَّةْ
حتى إذا مرُّوا بها
قالوا لها
أهلا .. صباح الخير
يا أمَّ البناتْ
..

(حسب النبي)
وكما رجال الريفِ
يحلمُ بالولدْ
فمضى
ليخطِبَ غيرَها
فلعلَّها تأتي إليه بالولدْ
و (سميحةٌ) حُبلى
بمولودٍ جديدْ
تشكو
إذا جاءَ المساءُ
دموعُها لله
تحزنُ من رَفيق العمر
تربط رأسَها بالصبر
نامتْ
..
..

لم تنمْ عينُ البلدْ

..

فأجاءها الله الملاكَ

مبشرا

وأتتْ بهِ

في وجههِ كان ابتسامْ

ووجهه نحو السماءِ

وملء عينيه كلامْ

هذا غلامْ

وجدته ينظرُ للسماءِ

فقرَّبته من السماءْ

نادته (يحيى) ..

..

زغرودة في كلِّ فمْ

الآنَ قد جاءَ الولدْ

يا ربِّ يحيا

..

(أنت ستتعلّم
بعد حين تتعلمُ
الفرقَ الدقيقَ
بين الإمساكِ باليدِ
وتقييد الروح
وتتعلم أنَّ الحبَّ
لا يعني الاتكاءَ
وأن الصُحبة
لا تعني الأمن
وتبدأ تتعلمُ
أنَّ القبلات
ليستْ عقوداً
والهدايا ليستْ وعوداً
وتبدأ بتقبّل هزائمَك
ورأسُك مرفوعٌ

وعيناك مفتوحتان
بأناقة
لا بحزن طفل
وتتعلمُ
أن تبني دروبَك جميعاً
على اليوم
لأنَّ أرض الغدِ
يكتنفها غموضٌ
لا يجدي معه التخطيط
وقادماتِ الأيامِ
لها طريقتُها
في السقوط
في منتصفِ الرحلة
بعدَ حينٍ تتعلمُ
أنه حتى نور الشمسِ

يكونُ حارقاً
إذا ما تعرضتَ له
أكثرَ مما ينبغي
لذلكَ تزرعُ حديقتَكَ
وتُزيّن روحَكَ
بدلاً من أن تنتظرَ أحدَهمْ
ليجلبَ لكَ زهوراً
وتتعلمُ
أنَّ في مقدورِكَ
أنْ تصمدَ طويلاً
وأنكَ حقاً قويٌّ
وأنَّ لكَ قيمةً حقاً
وتتعلمُ
وتتعلمْ)

المشهد الثالث

(الشيخ أحمد)
رجلٌ
تجاوز جبَّةَ الفقهاءِ
يجلسُ في أريكتهِ
وقد وقفتْ عصاهُ
لمن عَصاهْ
وأنا
وأصحابي
جلسنا في صفوفْ
ونعيدُ ترديدَ الحروفْ
عينٌ
رنتْ للوْح
في حذر
وأخرى للعصا
وأنا نصيبي تمرةٌ
في كلِّ يومٍ

والرفاقُ
نصيبُهم وجعُ الكفوفْ
في الظهر
نحملُ ما تعلمْنا
ونجري
جُرْنُ قريتنا
يحبُّ أولئكَ الأطفال
والكرة الشرابْ
وأعودُ يوميًّا
إلى أمي
وتتسخُ الثيابْ
فتقولُ بَسْمتها :
حبيبي
قبلتان لكفِّ أمي
تبتسمْ
هي كمْ تقبِّلني ؟

ألومُ الشيخ أحمدَ
لم يعلمْني
إلى هذا الرقم
..
(أنا عميلٌ للفرحِ
وبائعٌ للسرورِ الواسعِ
إنَّني أملك حانوتاً
مفتوحاً
على مصراعيهِ
للضحكةِ الرنَّانةِ
وأملكُ أيضاً
دُكاناً مُغلقاً
نصفَ إغلاقةٍ
لبيعِ الابتسامةِ
أمَّا راحة كفيّ
وأصابعي العشرة

فهي ناقلةٌ للسعادةِ
فمي غرفةُ مطالعةٍ
للحبِّ
وأمَّا يداي
فهما واسطةُ ذكية
للاحتضانِ
صدري لوحةُ لوسامٍ
لوحةُ لوسامٍ
اسمُهُ القلب
أنا
أنا بطاقةُ
موجَّهةً إلى العالمِ
لا تثنوني
ولا تلصقوني
بالصمغِ)
..

في العصر
تصحبني
لنعملَ ساعة
في الحقل
ثم نعودُ نجري
في المغارب
الناسُ تجري
ملء قريتنا
وتحلمُ بالنهار
فالليلُ
يسقط في القرى
موجًا
بألوان الهموم
ليبتلي
والناسُ
في صبر جميلْ
..

وأبي هنااااااك
أبي
وأهلٌ
من رباطِ الخيلِ
من ستٍّ عجافٍ
والنهارُ
على وصولْ
في قريتي الأيامُ تشبهُ بعضَها
والناسُ
تشبهُ بعضَها
لكنَّ هذا السبت مختلفٌ
تماما
نبضة المذياع
زغردة النساء
وهنَّ يحضنَّ العيالَ
عبدالحليم إذا يغني

(عاش اللى قال
الكلمة بحكمة
في الوقت المناسب
عاش اللى قال
لازم نرجع أرضنا
من كل غاصب
عاش العرب
اللى فى ليلة أصبحوا
ملايين تحارب
عاش اللى قال
للرجال
عدوا القنال
عاش اللى حول
صبرنا
حرب ونضال
عاش اللى قال

يا مصرنا ما فيش محال

عاش ليكي ابنك

عاش اللى حبك

رد اعتبارك

خلى نهارك

أحلى نهار)

..

لأبي يغني

..

ما كنت أحسبُ

كمْ من الأيام مرَّ

الآنَ

تخرجُ قريتي

فرحا

وتنتظرُ القطارْ

..

عزمُ الرجالِ يعودُ
إلا (هاشم المُرْسي)
ولم يدمعْ أبوه
بل قال في حُبٍّ
(المجدُ الأبدي للأبطال
المجدُ الأبدي
المجدُ الأبدي
المجدُ الأبدي للأبطال
المجدُ للأبطال
المجدُ
باسم القلبِ
باسم الحياةِ أكررُ
المجدُ الأبدي للأبطالْ
باسم الأحياءْ
المجدُ الأبدي
المجدُ الأبدي

ولتذكرهمْ جميعاً
بالأسماءْ
أذكرهم بالأسماء
أولئك الذين استشهدوا
في الحرب
نهضنا في الحرب
بإشراق
وعنف
وعلى راياتنا
نُقشت كلمة
النصر
النصر
باسم الوطن النصر
باسم الأحياء النصر
لا فخرَ أكبر من ذلك
ولن يكون

ولن تكونَ جسارة
أكبر من ذلك
لأن فوقَ رغبتنا
في أن نبقى أحياءً
كانت مصر
نحن نهضنا
في الحرب)
..
(أيها الحجرُ الأسودُ
أيها الحجرُ الأسودُ
لماذا أنتَ صامتٌ
أيها الحجرُ الأسودُ
هل كنتَ ترغبُ
أن تكونَ شاهدَ قبرِ جنديٍّ ؟
أيها الحجرُ الأسودُ
لماذا أنتَ صامتٌ

إلى الأبدِ
ينامُ الجنود
إلا أنه في وقتٍ ما
إلا
أنه
في
وقتٍ
مااااااا
وفي مكانٍ ما
من العالم
يكونُ هناكَ
من يتذكرُ الجندي
فقد كانَ
قبل موته بقليل
يملكُ عدداً
غيرَ قليل

من الأصدقاء
وأمَّاً
ما زالتْ على قيدِ الحياة
وكانتْ لديهِ خطيبةٌ أيضاً)
وأضافَ في فرح
هو ابني
في جوار الله
يبتديءُ الحيَاة
لمْ أفهم الرجلَ الجميلَ
بوقتها
..
هذا أبي
هذا أبي
هذا أبي
يجري إلي
يضمني

ويُسِرُّ لي :
الآن يا ولدي
سأرفعُ هامتي
وأضمُّ أمكْ
ستٌّ عجافٌ
ما نظرتُ بوجهها
ما كنتُ أفهمُ ما يقولُ
وإنما للحقِّ
كانَ أبي جميلا
دافئا جدًّا
و بسمته وطنْ
أمي كذلكَ
لم تكنْ أحلى
كمثل الآنَ
ماذا علمَ الناسَ الفرحْ !
كلُّ القلوبِ

على غناءْ

..

في البيت

قال أبي :

تعلمْ ما تشاءْ

لكنَّ أجملَ ما يكونُ

من الحروفْ

ميمٌ

وصادٌ

ثمَّ راءْ

ويضمُّني

المشهد الرابع

في كلِّ شهرٍ
في الخميس الأولِ
دَوَّارً جّدِّي
كان ممتلئا بقريتنا
ومذياع قديمْ
والشايُ يسعى
والجميعُ
على سكوتْ
كمْ من خميس مَرَّ
والمذياعُ
لا أدريه أينَ
و ماتَ جدِّي
كنتُ طفلا
حينَ ماتَ
وحينَ ماتتْ (أم كلثومٍ)
وغادرَنا (السادات)
بلا رجوعْ

سبعٌ عجافٌ
يابساتٌ
والحياة على دموعْ
وخميسُ هذا الشهر
يخطفُ من يدي الحلوى
ويتركني أجوعْ
والناسُ تبكي حولنا
صرنا يتامى
كانت تقولْ :
إنَّ الحياة كدائرةْ
من حيث نبدأ ننتهي
أثوابُها تبكي
على حبل الغسيلْ
اليومَ تتركنا
إلى بيتٍ جديدْ
بيتٌ ظلامْ
لا ماءَ فيه

ولا طعامْ
بيتٌ ظلامْ
وذهبتُ للبيتِ الجديدْ
ناديتُ بالدمع الجريحْ
أمي تعالي
كلميني
اخترتِ يومَكِ
أم تراه اختارا
إني أرى
في مقلتيكِ نهارا
الشمسُ تشرقُ
من عيون حبيبتي
يومَ الرحيل
وتفرشُ الأقمارا
حتى تمرَّ حبيبتي
نحو السما
روحا ترشُّ سنابلا

ووقارا

أمي

عيناكِ خاصمتا الزمان

فقررت

ألا تعيشَ زماننا

وتموتْ

يا وجهك المكتوب

أروع غنوةٍ

جبريلُ غنَّى اللحنَ

للملكوتْ

يا أيها القمرُ المسافرُ

وحده

أتراك أضعفُ

من خيوط العنكبوتْ

يا قبرُ

في جنبيكَ

ترقدُ مهجةٌ

يا طالما

رقدتْ بصدري

آمنةْ

لكنها اختارتكَ

رغما عن دمي

وأتتكَ راضية

أتتْ بكَ مؤمنةْ

رغمَ السنين الأربعين

فإنها

هيَ طفلةٌ

يا قبرُ

لم تكبرْ سنَةْ

يا ربْ

أنا عاجزٌ يا ربُّ

إني عاجزٌ

أنْ أستردَّ النهرَ

للشطآنْ

وسَّدتها يا قبرُ
بين مواجعي
رتلتها آيًا
من القرآنْ
وغسلتها بالدمع
يحرقُ أضلعي
أترى
سيرحمُ دمعتي رحمنْ !
أمي
في القبر
يا أمي وضعتكِ
من يدي
لا تمسحي
كحلَ العيون الخضرِ
مشطتُ شعركِ
مثلما أحببتهِ
يا سنبلاتٍ أنبتت

في عمري
وفرشتُ فوقكِ مقلتي
وملامحي
وغزلتُ ثوبكِ
من قماشةِ صبري
أمي
أمي تعالي
قولي لربِّ الناس
ابني يحترقْ
إنَّ الحياة بغير أمٍّ تختنقْ
من غير أمي
لا أرى
ردَّ الترابُ مزمجرا
أرجوكَ عدْ
إنَّ الذي يأتي هنا
لا يرجعُ
..

(وبعيداً
عبر الحقول
وفوقَ الأسوَار
رحتُ أتنقل
ونظرتُ إلى العالم
مررتُ بالمنزل القائم
على الطريق السريع
وها كانت النهاية
أوراقُ الأشجار
جميعها
ميتة
على الأرض
ما عدا
تلك التي يحتفظ بها
شجرُ الصفصاف
لينتزعها
واحدة

تلوَ الأخرى
ويتركها تنزلقُ
وتزحفُ
فيما تغطُّ الأخريات
في النوم
وأوراقُ الأشجار الميتة
تستلقي متجمعةً معاً
وساكنةً
لم تعدْ تتطايرُ
هنا وهناك
آخر زهرةِ نجمٍ طويلة
رحلتْ
القلبُ ما يزالُ يشتاقُ
أن يسعى
ولكن القدمين تسألان
إلى أين ؟
آه

حين يتعلقُ الأمرُ
بقلبِ الإنسان
هل كانَ أقلَّ خطراً
أن يسيرَ مع التيار
أن يستسلمَ بلطفٍ
للعقل
وينحني
ويتقبل نهاية موسم ؟)
..
(البؤسُ
يعلو ملامحَ الأشياء
من حولي
مثلاً
باب الحجرة
الصوت الذي صدرَ منه
حين كنت غاضبا
ليسَ ناتجا

عن ارتطامِهِ
بل صرخة انبثقتْ
من شدةِ الألم
جدرانُ المنزلِ
الشقوقُ التي تملؤه
ماهي إلا تجاعيدٌ
وليستْ
من فعلِ الرطوبةِ
كما ظننتُ
عامودُ الإنارةِ
الذي اضمحلَّ وهجُهُ
شيئاً
فشيئاً
بلا شكٍ
إنه كانَ يحتضرْ)

المشهد الخامس

وتمرُّ أعوامٌ
وقريتنا
تغيَّرَ حالها
اليومَ تسهرُ للصباح
أمامَ (هيفا)
ترتدي الجينز
اختفى الجلبابُ
والفلاحُ
يذهبُ للحقول
على موتوسيكلٍ
زوجته
كزوجاتِ المدينةِ
تشتري خبزا ..
وألبانا ..
وبيضًا ..
واختفى الكُتَّابُ

جاءتنا حضاناتٌ

و kg1

و kg2

وترتفعُ البيوتَ

إلى السماءِ

الطوبُ أحمرُ

والحديدُ

وسِحْنةُ الأسمنتِ

والأسفلتُ

تختلفُ الحياةُ

ولا حياةٌ

لم يعدْ

في دارنا لبنٌ

ولا يبقى

بسُمرةِ أرضنا وطنٌ

فقريتنا

وصالاتُ المطار صديقتانِ
الناسُ فيها
يحلمون بهجرةٍ
نحو الشمال
نصفُ الرجال الآنَ
يعملُ بالعراقِ
أو الخليجْ
..
فرح ابن حمدي
تاجرُ الأسمنتِ
يجمعُ قريتي
وقرًى
تحيط بها
وأربعُ راقصاتٍ
لا يُجِدْنَ الرقصَ
إلا ما تيسَّر

من رخيص
غيرَ أنَّ جميلة العينين
لم ترقصْ
ولم تنظرْ سوايَ
وخلفها رجلٌ
من الغاباتِ
قالوا مطربٌ
والله ؟
قالوا مطربٌ
الآنَ أدركُ أنَّ فيلا
قدْ يغَنِّي
..
ربما
قرأتْ عيوني
أنتِ مَنْ ؟
قالت سَحَرْ

اسمي سحرْ
وعلى جبيني
هاهنا
صلي عُمَرْ
صلى صلاح الدين يوما
والبشرْ
صلى القمرْ
حتى الشجرْ
وترى على بطني
بكاءَ كنيسةْ
وترى بقلبي
بعضَ أحلامٍ تعيسةْ
أيْ من بلاد الطهرِ ؟
قالت لي نعمْ
وغدوتِ يوما راقصةْ !
قالت بصوتٍ من ألمْ

هدموا البيوتَ
ومزقوا أثوابي
خطفوا الرغيفَ
وكسَّروا أنيابي
هم يرضعون الطفلَ
من ثدي الرصاص
وتجمَّدتْ قدمُ الخلاصْ
والجوعُ كافرْ
..
لم أنتبهْ
إلا وأقدامي تغادرْ
..
(لم يكن معي
في مشواري الشتويِّ
المسائيِّ
أحدٌ

أبداً لأتحدثَ معهُ
ولكنْ
كانتْ معي جدرانٌ
في صفٍّ واحدٍ
غارقةٌ في الليل
إلى عيونها اللامعة
وظننت أنَّ السكانَ
في داخلها
كانوا معي
مضيتُ
حتى لم تبقَ
أيَّةُ جدران
استدرتُ
وشعرتُ بالندم
ولكنْ في طريق عودتي
لم أَرَ نافذةً

إلا وكانتْ سوداء
أقدامي التي كانت تئنّ
أزعجتْ شارعَ القريةِ الساهرة
في العاشرة
من مساءٍ شتويٍّ)
..
وجعٌ سَحَرْ
مازلتُ أسمعها تقولُ
الأهلُ باعوني
فكم كانَ الثمنْ
وغدوتُ وحدي
لا حياة
ولا وطنْ
وطرقتُ أبوابَ المدنْ
وأتيتُ أعملُ راقصةْ
علِّي إذا يومًا أهزُّ

تهزُّ وجدانُ العربْ

..

(حين هبطتُ أسفل الجُرْن

بمحاذاة الجدار

كان هناكَ بابٌ

استندتُ إليه

لأتفرجَ

وكنتُ

قد تحولتُ عنه للتوّ

حينَ رأيتكِ

للمرةِ الأولى

بينما كنتِ تصعدين

إلى أعلى المسرح

والتقينا

ولكنْ كل ما فعلناه

ذلك اليوم

أننا مزجنا الكبير
والصغير
من آثار الأقدام
في غبار الرقص
كما لو
رسمنا رقماً
يدلُّ على كوننا
أقل من اثنين
ولكنْ أكثر من واحد
حتى تلك اللحظة
رقصتُـكِ
أبعدت الكسرَ العشري
بضربةٍ واحدةٍ
وطوال الوقت
أثناء حديثنا
كان يبدو عليكِ

أنك ترين
شيئاً ما في الغبار
يجعلك تبتسمين
آهٍ
كانَ ذلك خالياً
من الحياةِ
بالنسبةِ لي
فيما بعد
ذهبتُ مارّاً
بما كنتِ
قد مررتِ به
قبل لقائِنا
وذهبتِ أنت
مارّةً بما كنتُ
قد مررتُ به)
..

الميكروباص
إلى المدينةِ
أولُ الغرباتِ
والركابُ مجهولون لي
وأنا كذلكْ
حائرا
مازلتُ أبحثُ
في وجوهِ الناس
عن وجهِ قديمْ
..
كانتْ تحاولُ
أن تراني
خلسةً
وإذا نظرتُ لها
تعودُ إلى الكتابْ
..

من هذه الأنثى ؟

ممثلةٌ؟

يجوزُ

فتاة إعلان؟

يجوزُ

رأيتها بمجلةِ البورنو ؟

يجوزْ

فنصفُ عاريةٍ أرى

برفانها

عطرٌ فرنسيٌّ

عجوزْ

نظرتُ وقالت لي :

تشبِّهُ ؟

قلتُ :

مَنْ ؟

قالتْ :

ندى عبدالعليم

ندى !

وأين الـ ...؟

قاطعتني

لم أعدْ بضفيرتي

فأنا قصصتُ ضفيرتي

إن المدينةَ علمتني

أن أغيِّرَ لهجتي

كلُّ اللغاتِ

عرفتها

كلُّ الوجوهِ لبستها

وعرفتُ (جاكسون)

والجلوس

على المقاهي

كلنا متشابهاتٌ

بنت (cairo)

بنت بحري
والصعيدْ
عندي رجاءٌ يا أخي
فإذا تصلي
قل لربي أن أعود
..
لما وصلنا
سلمتْ
في نصفِ كفٍّ
نصفِ وعدٍ
وابتسامةْ
ومع السلامةْ
لم أكتشفْ للآنَ
كيفَ بكيتُ
لما ودعتْ
هل ذكرتني بالـ (أملْ) ؟

المشهد السادس

(الذكريات

هىَ تلك الغرف

التى بدون أكرْ

غرفٌ خاليةٌ

لا نجرؤ أن ندخلها

ونحنُ نعيشُ

فى البيت

الذى توجدُ فيه

هذه الغرفُ مغلقة

نحنُ نعلمُ

أنها هنا

كعادتِها

هذه

هي الغرفة الزرقاء

وتلك الغرفة الوردية

المنزلُ تنتشرُ

فيه الوحدة
ونحن مُا زلنا نعيشُ فيهِ
مبتسمين
وأنا أستقبلُ الذكرى
التى تعبرُ بإرادتِها
أقولُ لها
ابقيْ هنا
سوفَ أعودُ لأراكِ
أنا أعلمُ
-طوالَ حياتى -
أنها مرتاحةٌ هنا
لكنني
أنسى أحيانا -
أنْ أعودَ لأراها
إنها كثيرة
وتقيمُ فى مسكنها القديم

لكنها محكومٌ عليها
بأن ننساها
وإذا لم أعدْ
فى هذا المساءِ
أو فى غيرهِ
فإنها لا تطلبُ من قلبى
أكثرمنْ أنْ أتركها حيَّة
أنا أعلم
أنها تقيمُ هنا
خلفَ الحوائطِ
ولم تعدْ بي حاجة
إلى أن أذهبَ
لأتعرفَ عليها
من الطريق
أشاهدُ نوافذها الصغيرة
وسوفَ يظلُّ هذا

حتى نموتَ فيها
ومعَ ذلكَ
فأنا أشعرُ أحيانا
بالظلال اليومية
ولا أدرس
أي قلق
باردٍ
وأي قشعريرة
ولا أفهم
من أينَ تأتي
هذه الآلام)
..
آهٍ أملْ
لما عشقتُ
اخترتها
كانت تقولُ

أنا وأنت

- و ربنا -

سرُّ الخلودِ

لعاشق

ولعاشقةٍْ

صرنا كقديسيْن

حين توحَّدا

غفرتْ ذنوبَك

بالدموع الصادقةْ

في بحر عينيكَ

اكتشفتُ أنوثتي

ووجدتُ روحي

في غرامكَ غارقةْ

..

كانت تضيءْ

تمشي فأتبعُ ظلها

لكنَّ فقري
كان يزعجُ أهلها
هم حدثوني
ما سمعتُ
وحايلوني
ما قبلتُ
وحاصروني
ما امتنعتُ
فجمَّعوا رهطا
وجاءوا (الحاج أحمد مصطفى)
يشكو أبوها قائلا:
يا حضرة العمدةْ
بالأمس
إنَّا قد ضبطنا عاشقا
متلبِّسًا بغرامها
متمردا

ويضيف صوتْ :

ويضمُّها

رغم المسافاتِ البعيدةِ

رغمَ أسوار المدينةِ

رغم أبوابٍ

ومزلاجٍ

وشيشْ

فيعودُ والدُها يقولْ :

يا حضرة العمدة

لِمَ ما وضعتمْ

في قوانين المدينةِ

أنَّ للعشاق إعداما إذا عشقوا

كتجار الحشيشْ ؟

يا حضرة العمدة

هيَ لا تنام

وتظلُّ تحكي

كيفَ لما قابلتهُ تحرَّرتْ
وتوضأتْ بحكايةٍ
كتبتْ بلا ورقٍ
بلا قلمٍ
بلا حتى كلامْ
إنا تعبنا سيدي
والأمرُ لكْ
يا حضرة العمدةْ
الحاج أحمدُ
بعد أن قالوا
يشدُّ دخانَ شيشته
يفكرُ
ثمَّ قالَ :
الأمرُ أبسط من بسيط
فهِّموها أنه لنْ يستطيعَ زواجها
فالفقرُ قتَّالُ القلوبْ

الفقرُ مُرٌّ
وعليَّ (يحيى)
إنْ أصَرَّ
..
يبدو
بأنَّ علاجَ عمدتِنا
علاجٌ نافعٌ جدا
أو أنها خافتْ عليَّ
وربما فهمتْ
بأنَّ البيتَ تبنيهِ الجيوبْ
وفي حوارٍ عائليٍّ
دار بينهمُ الحديثْ
(– وإذا عادَ ذاتَ يوم
ماذا ينبغى أن أقولَ له ؟
– قولى له
إني انتظرتكَ

حتى متُّ من الانتظار

- وإذا سألني أيضًا

- تحدثي إليه كأخت

فلعله يعاني

- وإذا سأل

أين أنتِ ؟

بماذا ينبغي أن أجيب ؟

- أريه خاتَمَكِ الذهبيَّ

دونَ أنْ تجيبيهِ بشيء ؟

- وإذا أراد أن يعرفَ

سببَ فراغ صالةِ المنزل ؟

- أريه المصباحَ المطفأ

والبابَ المفتوحَ

- وإذا سأل حينئذٍ

عن اللحظةِ الأخيرة ؟

- قولى له

هيَ اللحظة الأخيرة)

..

آه أمل

الحبُّ في أيامنا

أضحى دخانْ

عند الشهيق نشدُّهُ

ويسيرُ في الأعماق

يخلقُ داخل الإنسان صبحْ

ويعودُ مخنوقا

بجرحْ

عند الزفير نردُّه

يغدو بقايا من غبارْ

وأمامنا وقفَ القطارْ

هيَ نحو قريتنا تعودْ

وأنا سأركبُ للمدينةِ

باحثا عن لقمةٍ

وحكايةٍ أخرى
و دارْ
..
(لستُ سعيدًا
مثلَ كثير من الناس
مع أن روحى
فى هذا المساء
تتمتعُ بصفاءٍ كامل
بينما كنتُ أحلمُ
بالكثير
قلبتُ مصباحى
فانكسرَ نصفيْن
ها أنا دون ضوء
إننى آسفٌ على قريةٍ
كنتُ فيها سعيدًا
ذات مساء

حين كان عمري
خمسة عشر عاما
كانَ ذلك الشفقُ
هادئًا جدا
ومؤثرا للغاية
تلك كانت قرية
حانية جدًا على طفل
عندما تحليتُ بالقوة
لكيْ أتذكرنى ..
بكيتُ طويلا
وكفي على قلبى
فيمَ تفيدُ الدموعُ
إذا لم نبكِ
وخاصة إذا كانَ الإنسانُ
بلا أمل
مع حزن عميقْ)

المشهد السابع

(نحنُ نريدُ
مغادرة الأمِّ
حيثُ السماءُ
لم تعدْ لها سلالمُ
مناسبة للأطفال
وللتمرد
نحنُ نريدُ
مغادرةَ المنزل
الخالي من الخيَال
إنَّ الريحَ المتمردة
ستكونُ بالنسبةِ للقلبِ
موسيقى أخرى
وهاهوَ الربيعُ
الذى كنا ننتظرهُ
أمامَ مدخل كلِّ منزل
إننا نحنُ الطيورُ

نحنُ الخبزُ الحيُّ
المختبيءُ تحتَ الأرض
لقدْ ابتهلنا
أنْ تدخلَ الزهورُ
الممتدةُ على الجدران
إلى غرفتنا
إنَّ بذورَ هذا الصيف
وعدتْ
بأنَّ تكونَ وفيّةً
لكنَّ هذه الطيور
وهيَ تلتفتُ برأسِها
للخلفِ
قد فرَّتْ للسفر
نحنُ محرومون
من الحياة
أنا

لا أملكُ جبهةً صارمةً
ولا عينا حمراء
أنا لم أذنبْ قط
أننى اللونُ الأخضرُ للأرض)
..
(غادروا
في الخلفيةِ
ثمَّة موسيقى دينية
سعيدة أخيراً
بنطق الاسم المقدس المبارك
الله أكبر
في القريةِ
لم يبقَ
إلا مَن أحبَّوا
الأفلامَ الكوميدية السوداءَ
لشارلي شابلن

والقريةُ
انتظرتني
بفستان زفافْ
وفهمتُ
أنَّ الجميلةَ
خضراء العينين
لم تعدْ مِلكي
اقتربتُ
من القاهرة
وتنازلتُ
عن الأنا)
..
(من ذا ينصتُ
إن صرختُ
من الأوامرِ الملائكيةِ ؟
ومن ذا يحملني فجأة

إلى قلبهِ
سأنتهي
تحتَ ضغطِ طبيعتِهِ الأقوى
لأنَّ الجمالَ
مجرد خطوةٍ
تنزاح
من رعبٍ حارقٍ
نطيقه
على مضض
كلُّ ملاكٍ يحترق
ولذا أتراجعُ
وأبتلعُ الفراقَ
ويُسمعُ النداءُ المعتمُ
في كهفِ القلبِ
وأسفاه
من يلبّي حاجاتِنا ؟

لا ملائكة

لا بشر

وحتى الوحوش الماكرة

تدركُ أننا

لا نشعرُ حقا

أننا في بيتِنا

في عالمنا

فربما ننادي شجرة

نراها على منحدر

ونعبرُ

في طريقنا المعتادِ

بشوارعِ مدينةٍ

نعرفها

و بإخلاص أبكمٍ لعادةٍ

عادةٍ تحبُّ فضاءَنا

وهكذا بقيتُ

والليل
الليلُ
عندما تقتاتُ الريحُ الممتلئةُ بالفراغ
على صفاتنا
كيف لا تكون هناك ؟
وتكونُ العرافة اللطيفة
المحبوبة
مخيبةً للقلبِ النابضِ
هل هي أعطفُ
على العشاق
ربما ؟
كلا
فهم يختبؤون منها
يبحثون عن أمان
في حضن
ألم تدركها بعد ؟

ارمِ من يديكِ اللاشيءَ
الذي يستلقي عليهما
إلى الفراغ
الذي نستنشقه
ربما ليمكّنَ الطيورَ
في فتنةٍ جديدةٍ
من شعور
لتنطلق
في رحلةٍ
بالهواءِ الفسيح
نعم
فأيامُ الربيعِ تحتاجك
النجومُ هي الآن
تستحقُّ إصغاءَكَ
و طفتْ موجةٌ
من الماضي المستذكرِ

أو عندما أتيت
من نافذةٍ مفتوحةٍ
كانَ الكمانُ يُغني
بأنفاسِهِ الأخيرة
كانَ كلُّ هذا
مهمة محددة
لكنْ
هل كنت رحبا
بما يكفي
لاستقبالهِ ؟
ألم تكنْ حالما بتوقعات ؟
متخيلا
أن هذه الإشارات
بشائرُ حبٍّ إنساني ؟
أين ستحفظها
محبوبتك –

أنتَ بأفكارِكَ الواسعةِ الغريبةِ
تغدو
وتروحُ
وتأخذُ حيِّزا واسعا
إن شعرتَ بالفراق
رغمَ هذا
غنِّ للعشاقِ
أجملَ الأغنيات
الذين حسدتهم كثيرا
وجدتهم محبين
ولم يألفوا
إرضاءَ الجسدِ
ابدأ من الآن
مديحَ ما لم يكنْ ممدوحًا كفاية
العشاقُ
هم ما تأخذه الطبيعة

لأنها تقتاتُ عليهم
لتعيدهم ثانية للحياة
منهكين
ومنتهين
ألا يجب
أن تحملَ لنا
تلكَ الأحزانُ العتيقةُ
ثمرةَ شعورٍ
في حياتنا ؟
ألم يأنِ لنا
أن نحررَ ذاتَنا
ونحملَ توترنا
إنه الموتُ
الذي ما زالَ راكدا
أصواتٌ
أصواتٌ

وصدى
استمع
يا قلبي
كما تستمعُ القديساتُ
للترنيماتِ العظيمةِ القديمةِ
التي ترفعُ
من الأرض
لكنها بقيت
راكعةً
بالمستحيل
وأوقفت أذانَ القلب
كانَ ذلكَ طريقهم
لا تعتقد
رغم هذا
أنك تقدرُ
أن تحتملَ

لكن اصغ إلى الهمس
والريح التي تتنفسُ
من أخبار الصمت الدائمة
على ألواح ناطقة
حيث تختصرُ كلماتٌ
بسيطةٌ
قليلةٌ
آلاف المجلدات
غريبا قد كان
ألا تقطن
في الارض
ولا ترى فائدة
من عاداتٍ
كان اكتسابها صعبا
الورود
و أشياء أخرى

لها بشائرٌ واحدة
لم تعد تراها
بالنسبة لغدِ البشر
ونرحلُ
بجانب الطريق
كدميةِ طفلٍ
محطمةٍ
عجيبٌ
أنَّ أمنياتٍ لا تُرى
رغم أنَّ الأحياء
يضعون حاجزا
يفصلُ بين وجودين
خطا إنسانيا
وتتدفقُ الجداولُ الأبدية
بين العالمين
حاملةً معها

كلَّ الأعمار
وتخرسُ الأصواتُ بأغنيتها
وأخيرا
فإنهمْ لم يعودوا يحتاجوننا
من رحلوا باكرا
و نموْا
ما وراءَ الماديات
لكننا تُركنا واقفين
أمامَ أبوابٍ مغلقة
نحن نستطيعُ
من النماءِ الحزينِ
أن نتدفقَ
أينَ يجبُ أن نكونَ
من دونهم؟
فكر ثانية بالحكايةِ
كيفَ تدخلُ الموسيقى

المؤقتة
الجريئة
القلبَ
لأولِ مرة
و في مأساة الروح الفارغة
و في ذلكَ الخواء
يخرجُ منه طفلٌ
كأنه
يعيشُ للأبدْ
يسقط الهواء
بذلك الاهتزازِ المترددِ النقيِّ
حيثُ يُطربنا الموتى)
..
في القاهرةْ
أمشي
أحبُّ ترابَها

ومقدسٌ هذا الرمادْ
تلك المدينة
مثل كلِّ مدينةٍ
في (مصر يا أم البلاد)
بلْكونتي
في الشارع الشعبيِّ
فيها أشربُ الشايَ
السجائرَ
أقرأ الدنيا
فشارعُنا اختصارٌ للحياةْ
..
(هذا الذي
يحضن المرأة
هو آدم
والمرأة
هي حواء

وكل شيء
يحدث للمرة الأولى
رأيتُ شيئا أبيض
في السماء
يقولون لي أنه
القمر
لكن ما عليّ أن أفعله
بهذه الكلمة
الأشجار تثير خوفا فيّ
إنها بمثل هذا الجمال
الحيوانات الهادئة
تقترب مني
كي أسّميها
بأسمائها
ليس ثمة حروف
في كتب المكتبة

لكن حين أفتحها
تبرز الحروف
وحين أتصفح الأطلس
أختلق شكل مدينتي
وهذا الذي
يشعل عود ثقاب
في الظلام
يكون من اكتشف النار
في أعماق المرآة
شخص آخر متربص
حلمتُ بيوتوبيا
حلمتُ بالسيف
والميزان
مُبارك هو الحب
الذي ليس فيه
طرف مالك

وآخر مملوك
فكل منهما
مخلص للآخر
مُباركة
كوابيس النوم
فبفضلها نصدّق
بوجود الجحيم
هذا الذي
ينزل النهر
هذا الذي
ينظر في الساعة
هذا الذي
يلهو بالخنجر
هذا الذي
ينام
هو الناس أجمعين

في الصحراء
رأيتُ أبا الهول فتياً
انتهى نحت هيئته
قبل قليل
لا قديم تحت الشمس
كل شيء
يحدث للمرة الأولى
لكن وفق نموذج الأبدية
والذي يقرأني
يخلق كلماتي
إنسان ما
يعمل في حديقته
الموظفان
لاعبا الشطرنج
في مقهى صغيرة
الفنان

- صانع السيراميك

الذي يرى اللون

والشكل في تصميمه

المطبعي الذي يعرف

كيف يرتب هذه الصفحة

رغم أنها

قد لا تعجبه

المرأة

والرجل

قارئا الفقرات الأخيرة

من أنشودة معيّنة

هذا الذي يربت

على الحيوان المُنوَّم

هذا الذي يبرر الظلم

الذي لحقه

أو يريد تبريره

هذا الذي
هو شاكر
لأن على الأرض ما يستحق الحياة
هذا الذي يفضل
أن يكون الآخرون محقين
جميع هؤلاء الأشخاص
الذين لا يعرف أحدهم
الآخر
هم من ينقذ العالم)
..
(شُبْرا)
بها كلُّ الحياة
الناسُ فيها كالدعاءِ
وبعضُهمْ لا يُستجابْ
الطيبونَ الرائعونَ
وخيرُ من وطِيءَ الترابْ

و اليابسونَ بها
دعوْا بالخُضْر
في يوم الحسابْ
مثل الأصابع
في اختلافٍ
غير أنَّ الكفَّ مصرْ
..
طفلُ
رسوليُّ الملامحِ
طفلةٌ
في لوْن حابي
في وجهِهِ
سندُ الحديثِ
ووجْهُها أمُّ الكتابِ
يتقاسمان الساندويتش
و يلعبان على السحابِ

هلْ يعلم الطفلان
أنَّ بكارة الأحلام مصرْ
..
عبدالصبورْ
رجلٌ أمامَ النارِ
يحملُ حُلمَ يوسفَ
في الكفوفْ
و الناسُ في الطابورِ
تنتظرُ الحياةَ
على الرَّصيفْ
النارُ جنتهُ
وجنة كلِّ جوعانٍ رغيفْ
الخبزُ قرآنُ الشعوبِ
و أجملُ القرَّاءِ مصرْ
..

وأبوعلي
في ظهرهِ
مازالَ يحملُ أمَّهُ
قلبا بقلبْ
والأمُّ تمنحُ ثديَها
للشاربين بكلِّ حُبْ
أذِّنْ فإنَّ العرقسوس
(شِفا و خمير)
لأيِّ شعبْ
ترضيهِ زغردة الجنيهِ
فإنَّ كلَّ الستر مصرْ
ومحمدين
يهوى من الأيام
مُمطرَها
ويدعو بالترابْ
رجلٌ أمامَ محطة المترو

وفي الوجهِ اغترابْ
وجهٌ جنوبيٌّ
يغني صهدُهُ
ليت الشبابْ
موَّاله الورنيش
والشايُ الثقيلُ
وحبُّ مصرْ
..
حسني علي
بدعائهِ
وبهذه الكارو
وصلِّ على النبيْ
بدأ الصباحَ مفتشًا
عن رزقهِ
في كلِّ حيْ
الأذْنُ تنتظرُ النِّدا

والكفُّ تنتظرُ العليْ

بيكيا

ينغِّمُها الفتى

بيكيا

على إيقاع مصرْ

..

والشيخُ رزقْ

في الصبح قِدْرتهُ

و كلُّ الطيبين

على وصولْ

طبقٌ من اللوز المدمسِ

عندما سمُّوه فولْ

يكفي ليومٍ مرهقٍ جدا

وصبر قد يطولْ

الفولُ مسمارُ البطون

و جنة الفقراءِ مصرْ

..

عبد البصير

وفي يديهِ

الوردُ آخى الكهرمان

هناكَ

في فتحٍ جديدْ

و العدسُ

يخلعُ جبَّةَ الفقهاءِ

للأرز السعيدْ

مقصوصة الرجلِ ابتهالُ العودِ

بينَ يديْ فريدْ

سمِّيعة الكشري

قلوبٌ تشتهيهِ

بطعم مصرْ

..

كشكُ السجائرِ

عمِّ عبده

والجرائدُ
والكتبْ
فلاحة سمراءُ
تتلو ما تيسَّرَ
من خُضارْ
والعمُّ مينا صاحبُ المقهى
وبسمته الخَضارْ
في الشارع المصريِّ
حنَّا /
مصطفى
قلبان
نبضُهُما الحياة
ويكرهان أبا لهبْ
..
الليلُ
يسحبُ ذيلَه

وأنا
وجلبابي
ومسبحتي
لسيدنا الحسين كعادتي
..
لكنَّ تلكَ الليلة
اختلفتْ كثيرا
دَقةٌ
مَنْ فوق شبَّاكي تنقرُ؟
..
(إننى أرى دائمًا هذا
في الحلم الغريبِ
والمتكررِ
لامرأةٍ مجهولةٍ ..
أحبُّها
وتحبنى

وهى لا تظهرُ
فى كلِّ مرةٍ
كما هىَ
كما أنها أيضا
ليستْ امرأة أخرى
وهى تحبنى
وتفهمنى
ولأنها تفهمنى
فهى وقلبى
يشفـَّان
من أجلها وحدها
مع الأسف
لا توجدُ مشكلة
من أجلها وحدها
وتجاعيدُ جبهتى الشاحبة
هى وحدها

التى تعرفُ

كيفَ تنشطها

وهى تبكى

هل هي سمراءُ

شقراءُ

وردية ؟

إننى أجهلُ ذلك

اسمها ..

إنني أتذكرُ أنه ناعمٌ

ورنانٌ

مثل أسماء أولئك المحبوبين

الذين استبعدتهم الحياة

نظراتها

تشبهُ نظرات التماثيل

وبالنسبةِ لصوتِها الهاديءِ

والخطيرِ

فإنَّ له
تأثيرُ الأصواتِ الأثيرةِ
لديْنا
والتى تؤثرُ الصمتْ)
..
ليلى تنقـرُّ
فوقَ شبَّاكي
وليلٌ مريميٌّ الصوم
تغسله دموعُ الفجر
أفتحُ ؟
هلْ أراودُ شهوتي للخمرِ
أقفزُ أفتحُ الشبَّاكَ
تدخلُ
هيتَ لي
قدتْ قميصي
ترقدُ السمراءُ

فوقَ ملاءتي البيضاءِ
تدوعوني لنرقصَ
كي أعلمَها
فنونَ العشقِ
أدعوها لفنجانٍ
من الصبرِ الجميلِ
..
(كنتُ عاليًا
مثل ثلاث شجراتِ
من التفاح
كنتُ أتحدثُ
بصوتٍ عالٍ
حتى أبدو
كرجلٍ
كنتُ أقولُ :
إننى أعرفُ ..

أعرفُ
أعرفُ
أعرفُ
تلك كانت البداية
وذلك كان الربيعْ
قلت :
إننى أعرفُ
نعمْ
هذه المرة أنا أعرفُ
واليومَ
وحيثُ دارتْ بيَ الأيامُ
أنظرُ إلى الأرض
التى عبرتْ عليها
مئاتُ الخطواتِ
وأنا لا أعرفُ أبدًا
كيفَ تدورْ

كلُّ ما تعلمتهُ
ثلاثٌ
أو أربعُ كلماتٍ
اليومُ الذى يحبكَ فيه أحدٌ
يصبحُ الجوُّ جميلا
ولا يمكننى أنْ أقولَ
أفضلَ
من أنَّ الجوَّ
يصبحَ جميلا جدًا
كذلكَ
ما يدهشنى فى الحياةِ
أننا كثيرًا
ما ننسى ليالي الحزن
لكننا لا ننسى صباحًا واحدًا
من السعادة)
..

ليلى
تجيدُ قراءة العينين
تعرفُ ما يدورُ بداخلي
قالت :
كن غيرهمْ
اهتكْ حِجابي
احتلني
أنا لا أريدك مثلهمْ
لم أنتظرْ منكَ البخورَ
ولا النذورَ
ولا الهدايا
خذنى لقلبك كالسَّبايا
مُدنى مهيأة لغزوكَ
هيت لكْ
أنا ألفُ مرهقةٍ
ومتعبةٍ

وعائدةٍ
من الحزن الكبيرْ
خذنى إليكَ
فلم يزلْ عندى الذى يكفي
لأمنحك الغرورْ
عيناكَ تأتينى
لها وقعٌ جديدْ
هي تقرأ المكتوبَ
فى جسدي
وتسألني
ترى هلْ من مزيدْ ؟
وأنا أريدْ
النارُ فى شفتيكَ
قد أشعَلتني
وجعلتنى قمرا يضيءُ
أضأتني

أنا ألفُ أنثى
لو نظرتَ رأيتنى
كلُّ الذكور تريدُني
وأنا أريدُكَ غيرهمْ
كنْ غيرهمْ
لا تشتعلْ
إلا إذا اقتربتْ شفاهي
من فمك
إياكَ
إنْ دخلتْ سوايَ إلى دمكْ
كنْ غيرهمْ
كالموج
كالإعصار
كالطوفانِ
ادخلْ بلا صبر
إلى أحضاني

ادخلْ إلى جسدي
مسيحا
كنْ سورة الرحمن
فى جسدي
وكن فى الروح روحا
أنا آخرُ امرأةٍ أكيدةْ
ادخلْ إلىَّ
بكلِّ ما أوتيتَ
من طهرٍ
ومن سحرٍ
ومن لغةٍ أكيدةٍ
يا أيُّها الذكرُ الذي
ألقاهُ فى جسدي قصيدةْ
يا سيدي
كن غيرهمْ
..

منذ اكتشافي ملمسَ الأنثى
وفي جسدي
جوادٌ جامِحٌ
أسترجعُ الولدَ الشقيَّ
بقريتي
يجري
يطاردُ في الحقول فراشةً
و إذا أتاهُ الليلُ
يحلبُ من نجوم اللهِ أغنيةً
مضى زمنٌ
و أصبحَ في المدينةِ
قابَ سُكْرٍ
أو أقلَّ
دنا
تدَّلى
أمسكتْ كفيْهِ ليلى

ثم أعطته السنابلَ
لم
ينمْ
لليل
جفنْ
..
(إذا مدتْ
كل فتياتِ العالم أيديهنَّ
حولَ البحر
فإنها
ستصنعُ دائرةً
وإذا أرادَ
كلُّ رجال العالم
أنْ يكونوا حقا بحَّارةً
فإنهمْ سيصنعون بقواربهمْ
ميناءً جميلاً

فوقَ الموج
وحينئذٍ
سيكونُ من الممكنِ
إذا مدّ يده كلُّ منا
أن نقوم بجولةٍ
حولَ العالم)
..
(لا بدَّ
أنَّ حصاني
يستهجنُ الوقوفَ
دونَ وجودِ مزرعةٍ
في الجوار
ما بين الغابة
والبحيرةِ المتجمدةِ
أحلكُ مساءٍ في العام
يهزُّ أجراسَ سرجهِ

ليسألَ
فيما إذا كانَ هناكَ التباسٌ
لكنَّ لديَّ وعوداً
عليّ أن أفي بها
وأميالاً أقطعها
قبل أن أنام
وأميالاً أقطعها
قبل أن أنام)
..
ما الذي يأتي إليَّ بوجهِ أمي
سامحيني
لم تسامحْني
..
(أمي تتحدثُ مع جدتي
باللغةِ الريفيةِ
الغارقةِ في النور

كأنها جاءتْ
إلى البيتِ
لتطلبَ مني
إطفاءَ أغنيةٍ أم كلثومٍ
وتشغيلَ موسيقى أخرى)
أمي مضتْ
وأنا انكفأتْ
لم أنتبهْ
إلا على صوتِ الجرسْ
بالباب سعدٌ زوج ليلى
جاءَ يدعوني
لأفطرَ عندهم
ونروحُ نسهرُ
في الحسينِ
إلى الصباحِ
كم قالَ

ماذا قالَ

ليلى

حَلـَّة المحشي

السحور

أنا لستُ أشعرُ بالمكان

وبالزمان

هل نحنُ في رمضانْ ؟!

..

(الشمسُ تشرقُ

..

العالمُ مكتملٌ

..

والحديقة مستديرة

..

أشعلتُ

شمعتين

مثل زهرتين صفراويْن

..

النهارُ يفسدُ

نيرانَ الليل

..

زهرتان ذابلتان

ذواتا سيقان ذابلةٍ

..

العالمُ منظمٌ

..

الموتى تحت

والأحياءُ فوق

..

الموتى يزورونني

..

الموتى يضجرونني

الأحياء يقتلونني

..

لقد أشعلتُ زهرتين مرتعشتيْن

ووضعتُ عيني

في يديَّ

مثل حجارةٍ من الماء

ورقصتُ

بحركاتٍ مجنونةٍ

حولَ دموعى

بمناسبة العيدْ)

المشهد الثامن

(أنتظرُ الهدوء
الآنَ أنتظرُ الهدوءَ
الذي سيأتي
ها هو يبدأ
يتحرَّكُ في الزوايا
ها هو
يوشك أنْ ينقضّ
كالعاصفة
ها هو
يلمسُ الخِمارَ الأحمرَ
ها هو
يلمسُ حافة المائدةِ
ها هو يقتربُ
علبة المناديل مدهونةٌ
بألوانٍ متعدّدة
الكراسي الغريبة الألوان

متناثرةٌ حولَ المائدة
ها هو الهدوءُ
يهوي
كالكفّ الكبيرةِ
يغطّي الغرفة
بقطعةٍ
من القماش
يغطّي البحرَ
يغطّي البرّ
الخِمارُ الأحمرُ
هو البداية
إلى جانبهِ
الكرسيُّ الأخضر
مغطّىً بالمنشفة)
والهدوءُ
يصرخُ في وجهي

وأنا أصرخُ
في وجههِ
وأنا أتطلّعُ
وأشاهدُ
كيفَ تنفتحُ
وتتدحرجُ
الدنيا داخل الغرفةِ
داخل الحزمةِ الضوئيةِ الواسعةِ
التي ألقاها المصباح)
..
(الكلماتُ
أيضًا
تسقط
على
الأرضِ
مثل العصافير

التي تصاب بالدوار
بسببِ حركاتِها المجنونة،
ومثل كلِّ الأشياءِ
التي تفقد توازنها،
ومثل الناسِ
الذين يعثرون
دون أن يصطدموا
بشيء
ومثل المهرجين
عندها تأخذ الكلماتُ
التي
على الأرض سلمًا
لكي ترقى
إلى ألسنةِ البشر
في لجلجتهم
وفي ثأثأتهم

ثم في جملهم المفيدة
ولكن من الكلماتِ
ما يبقى
على
الأرضِ
فيأتي رجَلٌ فيلقاها
تنتظر
في محاكاةٍ مرتبكةٍ
وكأنها كانت تعرفُ
أن شخصًا ما
سوف يأتي
ويجمعُها
ليصنع منها لغة جديدة،
لغة
لا تتكون
إلا من الكلماتِ اللقيطة)
..

فِي أَصَابِعي
أَحمِلُ قُضباناً،
سِجْناً مِن الرِّياحِ يَقُولُ لَكَ
إِلمِسني كَيْ أَتَحَرَّرَ
ليلاً، تَتَّسِعُ عيناياَ أكثر
وَتَتَّسِعُ هُوَّةٌ
تَفْصلُ
ما بين جسدي
وجسدٍ آخرٍ
أبقوا علي سِجْني
أربعةَ ملايين عام
هواءٌ مُجَوَّفٌ
في جانبي
يكفي لإعادتي
مع حُرِّيَّتي المَذعورةِ
إلى الأرضِ

في اللَّحظةِ الأخيرةِ
لستُ أعرفني
في الصَّباحاتِ الخائِنةِ
في ورقةٍ
كَسَتْها رائحةُ أمواتي
صدأً،
في لُبِّ باردٍ
لِأشجارٍ تَقِفُ انتظاراً
أَتُراني اعْتَدتُ أَن أُدْفَنَ
في العيونِ
في مساءٍ مُرٍّ
في ثُقبَيْنِ
في السَّماءِ؟
تُرى ما الَّذي يُمكِن
أن يُؤْذِيَني أكثر؟
علامةٌ تتلاشى

في رُكْنٍ
من أركانِ المَحطَّةِ
هَذِهِ المَحطَّةُ
لن تُصبِحَ مُجَرَّدَ مَحطَّةٍ
ستبقى فقط
علامتي المتلاشيةُ
في غُبارِ إحدى النَّوافِذِ
هذا إن كانت هُناكَ نوافذُ
هذا إن قَرَّرتُ أن أَتْرُكَ ورائي
علامةً في إحدى المَحطَّاتِ
سأنتظرُ
بِجانبِ أَكشاكِ التِّلفون
تَلاشي السَّاعاتِ
في زُرْقَةِ سيجارةٍ مُشْتَعِلَةٍ
في نظراتٍ حزينةٍ
راكعةٍ

سَيَرونني
ضاغطاً على فَكِّي
أَلْقُمُ الهواءَ
كَطيورٍ مُهاجِرَةٍ
من بُقْعةٍ لِأخرى
لا تَعرفُ ماذا بانْتِظارِها
ها قد أصبحَ الهواءُ مُرا
ومعَ ذلكَ
فإنَّني لا أعرفُ
في أيِّ المَحطَّاتِ
سَتَمتَطي وِحدتي
جسداً آخرَ)

المشهد التاسع

(ربما كنا أطفالاً
ولم تكن لدينا
أية تجربة
كنا نعلم فقط
أنهم يجبروننا
على أنْ نعتقدَ
فى الكذب
وفي الحقيقة
كنا نجهلُ ما نريده
باستثناء احترام عدة حقائقَ
أبسطها حقوق الإنسان
عندما كنا نتجمعُ
فى ميدان صغيرٍ
قضى شبابه
فى بلادٍ مكتوفةٍ
وبقية حياته
فى المنفى
كنا

ندخنُ السجائرَ
ونحرقُ الجرائدَ
المليئة بالكذب
كنا ندخنُ السجائرَ
التى تسمم أجسامنا
ونحرق الجرائد
لأنها تسمم عقولنا
قرأنا الدستور
وإعلان حقوق الإنسان
وفى الحقيقة
لم نكنْ نعرفُ
أنَّ هذه الحقوق
كانَ من الممكن
أن تصبحَ مضادة
لصالح المواطن
وفى الحقيقةِ
لم نكنْ نعرفُ
أنه بالإمكان

إرسال الدباباتِ العديدةِ
ضدَّ رجالٍ عزّل
من السلاح
بدون دفاعْ
ضدنا نحن
الذين كنا حينئذ أطفالا
جيوشٌ
من الأفكار المُسبقة
فى مدارسنا
فى نفس هذه المدارس
جعلونا ننسى
بابتزاز الخُطبِ
واستثارة المقالاتِ
بالطاقةِ الهائلةِ
للعنفِ المنظم
وبالكذب المتفاقم
عن الكذبِ
وفى الحقيقةِ

لم نكنْ نعرفُ
أنَّ الكبارَ
لن يصدقونا
وأنهم سيصدقون الكذبَ
المتفاقمَ
وأنه من الممكن
مَحْو كلِّ شيءٍ
ونسيان كلِّ شيءٍ
والتظاهر بعدم رؤيةِ شيءٍ
وفى الحقيقةِ
لم نكن نعرفُ
أنَّ مَن سيتابعُ المسيرة
سيتخطى كلَّ دَرَجَ الخيال
وفي الحقيقةِ
لم نكن نعرفُ أنَّ الذاكرة
كانتْ
وما زالتْ
هيَ عدوُّ المواطن

وفي الحقيقةِ
لم نكن نعرفُ
أنه لكيْ نعيشَ هنا
فى اللحظةِ الحاضرةِ
كانَ ينبغي علينا
أنْ نتظاهرَ بالحياةِ
فى مكان آخرَ
وفى زمن آخرَ
عبرَ ستائر
من حديد السحبِ
وأنْ نصارعَ
ضدَّ الموتى)
..
ما الذي يأتي
إليَّ بوجهِ أمي
(تسمعين يا أمي ؟
فأرُ كبيرٌ
أبيضٌ

وشبعانٌ
أقنعَ المفتشَ
بالأكل سويًّا
مع المقاول
بإطعام السياسي
بالنوم مع القاضي
وتسطيح تاريخ البشرْ
فأرٌ كبيرٌ يا أمي
أقسمُ أني رأيته
يعضُّ الخرائبَ
بشهيةٍ
وإفرازاته
كانت هيَ الثقافة
التي أكلها
ولم يشبعْ أبداً
لماذا أحكي لكِ
يا أمي
ربما لأنني أشعرُ

أنه لا يمكنُ لهذا
أن يستمرَ
ينبغي الوقوفُ
أمامَ الفأر
ينبغي الصراخُ
من ألم العضِّ
لأنه لو لم يحدثْ هذا
فسوفَ يواصلُ
بل وسوفَ
يمزقُ القصيدة
هذا يؤلمني
يا أمي
ولكنني لن أكونَ مثلكِ
لن تكونَ هناك جرذانٌ
في العالم
وربما نستطيعُ التنفسَ
بجسدٍ متحررٍ
من أثار العضْ

معكِ حقٌّ يا أمي
نحنُ لسنا جرذانا
ولكنَّ العلامات على الجسدِ
الأنقاض في أعيننا
سوفَ تنتقلُ إلى ابنتي
عندما تسألني
كيفَ أننا لم نفعلْ شيئا)
..
(على كراساتِ المدرسةِ
والأشجار
على الرَّمل والغمام
أكتبُ اسمك
على كلِّ الصفحاتِ المقروءةِ
على كلِّ الصفحاتِ البيضاء
على الحجرِ
الدمِ
الورقِ
أو الرمادْ

أكتب اسمكِ
على أصداءِ طفولتي
على عجائبِ الليالي
على خبز الأيام الأبيض
على الفصول المتداخلةِ
أكتبُ اسمكِ
على الحقولِ
على الأفق
على أجنحةِ الطيور
على كلِّ أنفاس الفجرِ
على البحرِ
وعلى السفنِ
على رغوةِ السحبِ
على حباتِ عرق العاصفةِ
أكتبُ اسمكِ
على المطرْ
على الممراتِ الساهرة
على الطرق الممتدةِ

على الميادين المكتظةِ
اكتبُ اسمكِ
على المصباح الذى يضيءُ
على المصباح الذى ينطفيءُ
على بيوتي المجتمعةِ
أكتبُ اسمكِ
على بابيَ المرتجفِ
على الأشياءِ المألوفةِ
على زحفِ النار المباركةِ
أكتبُ اسمكِ
على جبهةِ أصدقائي
على كلِّ يدٍ تمتدُّ
على زجاج المفاجآتِ
على الشفاهِ المنتبهةِ
جيدًا فوقَ الصمتِ
على جدران همومي
أكتبُ اسمكِ
على الغيابِ

بدون رغبةٍ
على الوحدةِ العاريةِ
على خطوات المدن
أكتبُ اسمكِ
على الصحةِ المستردةِ
على الخطر المُختفي
على الأمل بدون ذكرى
أكتبُ اسمكِ
وبقوةِ الكلمةِ
أبدأ حياتي من جديدٍ
أولدُ لكيْ أعرفكِ
لكيْ أدعوكِ
حرية)

المشهد العاشر

(كم منا
رأى
العجوز الذى يعبرُ الشارعَ
بشعًا
ومكفهرا
قد لفظته المدينة
الشارعُ
الناسُ
العالمُ
كلها تسرعُ
بالنسبةِ إليهِ
كم منا تقدمَ
بأيِّ شيءٍ
لكيْ يلمسَهُ
بإشارةٍ
أو كلمةِ

أو ابتسامةٍ
لكيْ يربطه بنا ؟!
إن الشيخوخة
تجعلنا نرتجفُ
إننا لا نريدُ
أن نعتقدَ
فى الأسوأ
عيوننا
لا تمسكُ منها
سوى بصورةٍ
غير حقيقيةٍ
نحن عجائز الغدِ
ستكون الحياة مختلفة
فلنأخذ منها الآن
نحنُ بأنفسنا
ودون انتظار

لاستعادةِ الحاضر

إنني أعطي

- لكلِّ من يبتسمون

والذين من حقهم

أنْ يبتسموا -

موعدًا

بعدَ عمر طويل

لكيْ نتحدثَ معًا ..

عن الزمن الجميلْ)

..

(الطوابعُ

جمعتْ أيامَ أبي الأخيرة

في الدول

التي لم يتجولْ فيها

وضعها

في صحن ماءِ روحِهِ

وقشَّرها
نازعا إياها
من مظروف الإهمال
الخاص بحيِّ الطبقاتِ الدنيا
ولكنَّ الأيدي الأخطبوطيةِ
للسلطاتِ
لم تضعفْ قبضتها
على الطوابع)
..
(أعملُ
في ضريبةِ دخل
صفحاتِ التاريخ
التي تنقصني
وجمالُ امرأتي
لم أعثرْ عليهِ
في أرض معروفةٍ

و إنما وجدته
في ألبوم صور قديم
يخصُّ جدَّتي
في صورةِ أمي)
..
(هُناك ليالٍ ل
ا أَرْغبُ فيها
بمعرفةِ أيَّ شيءٍ
ولا سماعِ
أيِّ شيءٍ
لا أَوَدُّ سِوى الجُلوسِ
في شارعٍ ناءٍ
ورُؤيةِ كَلبٍ
يُدرِكُ ما يُريدُ
حَتَّى في لَحظاتِ صَمْتِهِ
أَوَدُّ لو أَمكثُ وحيداً

يُحادِثُني الكَلبُ بِعينيهِ
وَعِندها يَطرقُ
فَيصمتُ
لِرَجُلٍ أضاعَ سَكِينَتَهُ
سأقرأُ قصيدةً
كي يموتَ بِسلامٍ
في اللَّحْظةِ
الَّتي أُفَكِّرُ فيها
بذلك
يَجثو ظِلٌّ
على صدري
يُمَسِّدُ بِيَدَيهِ جَبْهَتي
فأصمتُ
لا الليلُ
لا الشارع
لا الكلبُ

قادرون
على إطفاءِ لَوعةِ)
(لو كان لي
أن أعيش حياتي
من جديد
في المرة القادمة
سأحاول
أن أرتكب المزيد
من الأخطاء
لن أحاول جاهداً
أن أصل إلى درجة الكمال
سوف أكون
أكثر استرخاءً
سوف أكون
أكثر امتلاءً
ممّا أنا عليه

الآن
بل سوف تكون الأمور
التي آخذها
على محمل الجدّ
أقلّ
سوف أكون
أقل اهتماماً بالصحّة
سوف أقوم بالمزيد
من المجازفات
سوف أذهب
في المزيد من الرحلات
سوف أشاهد
غروب الشمس أكثر
سوف أتسلق المزيد
من الجبال
سوف أسبح

في المزيد
من الأنهار
سوف أزور المزيد
من الأماكن
أماكن لم يسبق لي أن زرتها
سوف أتناول المزيد
من البوظة
وأقلّ
من تناول الفاصوليا
سوف أتعامل
مع مشاكل واقعية
بصورة أكبر
وخيالية بصورة أقلّ
لقد كنت واحداً
من أولئك
الذين يعيشون

في كل دقيقة
من حياتهم
بطبيعة الحال
كانت لي لحظات
من البهجة
لكن
لو كان لي
أن أعود
إلى الوراء
لحاولت
أن أحظى
باللحظات الطيبة
دون سواها
إن كنت لا تعرف
فالحياة
مصنوعة

من ذلك
لا تُضيّع اللحظة
الحاضرة
كنتُ واحدا
من أولئك
الذين لا يذهبون
إلى أي مكان
بدون ميزان حرارة
بدون زجاجة ماءٍ
وبدون مظلة واقية
لو كان لي
أن أعيش حياتي
من جديد
فسوف أسافر
متخففاً
من حمولتي

لو كان لي
أن أعيش حياتي من جديد
فسوف أحاول
أن أعمل
حافيَ القدمين
من أول الربيع
إلى
آخر الخريف
سوف أركب المزيد
من العربات
سوف أشاهد المزيد
من شروقات شمس
وألعب
مع عدد أكبر
من الأطفال
لو كنت لي حياة

أعيشها

لكنني الآن

قد بلغت سنّ الغربة

وأعلم

أنني أحتضر)

..

..

يا أمة كانت

و قال اللهُ عنها خير أمةْ

الآنَ عادَ أبولهبْ

و أنا

وكل الطيبينَ من العربْ

سنظلُّ نحلمُ بالحياةْ

ونظلُّ نحلمُ بالحياةْ

.....

تمت

الفهرس

المشهد الأول.....٥
المشـهد الثـاني.....١٩
المشـهد الثالـث.....٢٧
المشـهد الرابـع.....٤٣
المشـهد الخامـس.....٥٥
المشهد السـادس.....٧١
المشهد السـابع.....٨٥
المشـهد الثامن.....١٣٥
المشـهد التاسـع.....١٤٥
المشـهد العاشر.....١٥٧